اكتشافات أثرية جديدة بمدينة القاهرة
فى ضوء النصوص التأسيسية

د / رضا أحمد رمضان*

مقدمة

تعد النصوص التأسيسية على العمائر الإسلامية وثائق ماهية ذات أهمية كبرى نتعرف من خلالها على ماهية هذه العمائر سواء كانت عمائر دينية أو مدنية أو غير ذلك من أنواع العمائر الإسلامية المتعددة .

كما أن هذه النصوص التأسيسية تفيدنا فى تحديد تاريخ الإنشاء كما تفيد أحياناً فى تاريخ بدء العمل وتاريخ الانتهاء منه . كما أنها تتضمن فى أحيان كثيرة اسم المنشئ وألقابه ووظائفه كما أنها قد تتضمن اسم المشرف على أعمال العمارة وألقابه ووظائفه أيضا. هذا إلى جانب ما لهذه النصوص من أهمية خاصة فى التعرف على مراحل تطور أنواع الخط العربى المختلفة ومعرفة مراحل ازدهارها والتأثيرات التى دخلت عليها . ونظراً لأهمية هذه النصوص فقد قام العديد من الباحثين بعمل دراسات حول أهمية هذه النصوص وما تتضمنه من معلومات تاريخية (١) .وليس أدل على أهمية تلك النصوص من أنها تقطع بتاريخ إنشاء بعض العمائر التى تكون محل شك بين المؤرخين كما أنها تكشف عمليات التزوير والانتحال التى قام بها بعض السلاطين والأمراء (٢) .

وقد تنوعت أشكال هذه النصوص كما اختلفت أماكن تواجدها بالعمائر كما اختلفت المواد المستخدمة فى تسجيل هذه النصوص .

---

* د. رضا أحمد رمضان،مدير منطقة دمياط للآثار الإسلامية والقبطية.

(١) نذكر من هذه الدراسات :

- حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية . الطبعة الثانية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ م .
- سعاد ماهر محمد : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ٥ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٧٩ – ١٩٨٠ م .
- عادل شريف : النصوص التأسيسية على العمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة . رسالة دكتوراة ، جامعة أسيوط ، ١٩٨٦ م .
- Berchem (M . V) , Materiaux pour un corpus inscriptionum Arabicarum , Egypt , Paris , 1903 .
- Comb (E) ET sauvaget (j) Et Wiet (G) , Repertorie chronologique d'Epigraphie Arabe , 16 vols , Le Caire , 1931 – 1954 .

(٢) محمد حمزة الحداد : العلاقة بين النص التأسيسى والوظيفة والتخطيط المعمارى للمدرسة فى العصر المملوكى ، بحث فى كتاب تاريخ المدارس الاسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ ، ص ٢٧٤ .

أهمية النصوص التأسيسية بالنسبة للمنشأة:

تعتبر النصوص التأسيسية وثيقة إشهار وإعلام للمنشأة عن صاحبها بين العامة والمترددين على هذه المنشأة حتى وإن أزيل أو محى اسم صاحبها من عليها . فقد عرفت به وتناقل العامة أن هذه المنشأة من بنائه ويبقى اسمه مطلقاً عليها حتى وإن لم يوجد وخير مثال على ذلك خانقاة الجاشنكير حين أزال الملك الناصر محمد بن قلاوون اسم السلطان الملك بيبرس الجاشنكير منها وأمر أن تسمى بالخانقاة الناصرية فقد ظل العامة يطلقون عليها اسم خانقاة الجاشنكير (٣)

وكذلك المدرسة الجمالية التى أنشأها الأمير جمال الدين الأستادار حين قام الملك الناصر فرج باغتصابها وتمزيق وثيقة أوقافها ومحو إسم صاحبها وكتابه اسم النصر فرج ورسم رنكه بدائر صحنها من أعلى ظلت معروفة بين أهل القاهرة والعامة باسم المدرسة الجمالية (٤) .

كذلك حرص المنشىء أن تكون هذه النصوص فى مكان ظاهر واختار لها مادة صلبة حتى تقاوم العوامل الجوية وعوامل الزمن فاختار أن تنفذ هذه الكتابات فى مادة الحجر أو الرخام أو الخشب وأحياناً نقشها على الصفائح المعدنية التى تغلف أبواب المنشأة .

كما اختار المنشىء طريقة نقش هذه الكتابات وهي الحفر البارز حرصاً منه على بقاء هذه الكتابات أطول فترة زمنية ممكنة .

وقد وقع اختيارى على ثلاثة نصوص من النصوص التأسيسية منها ما هو على شكل إفريز كتابى فوق المدخل الرئيسى كما فى قبة الشيخ سنان ومنها ما هو على شكل لوحة من الرخام وضعت فوق المحراب كما فى مقام الشيخ عبد الكريم البرمونى (٦) أو لوحة من الرخام أعلى المدخل الرئيسى كما فى مقام القرطبى (٧)
ضريح عبد الكريم البرمونى
ومحمد شرف الدين الكردى

---

(٣) المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، جـ٢ ، ص ٤١٧ .

(٤) نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٤٠١

محمد عبد الستار عثمان : وثيقة وقف جمال الدين يوسف الأستادار ، دراسة تاريخية أثرية وثائقية ، ١٩٨٣ ، ص ١٠٧ .

(٥) أثر رقم ٤١ وتقع بدرب قرمز المتفرع من شارع المعز لدين الله تجاه قصر بشتاك .

(٦) غير مسجل فى عداد الآثار الاسلامية ويقع بجوار خانقاة الجاشنكير على يمين المتجه من خانقاة الجاشنكير إلى باب النصر .

(٧) غير مسجل فى عداد الآثار الاسلامية ويقع بعطفة ابن هيزع بجوار سبيل ابن هيزع المتفرعة من شارع أم الغلام .

الموقع :

يقع هذا الضريح بشارع باب النصر بجوار خانقاة السلطان المـــلك المظفر بيبرس الجاشنكير [٨] على يمين المار بهذا الشارع من خانقاة الجاشنكير متجهاً إلى باب النصر وتقع على خريطة الآثار الاسلامية بمدينة القاهرة رقم ١ بالمربع ٣ ح .

المنشئ :

المشهور بين العامة وأهل المنطقة أن هذا الضريح هو ضريح الشيخ عبد الكريم البرمونى والشيخ محمد شرف الدين الكردى .

كما ورد ذكره فى المصادر التاريخية باسم ضريح الشيخ عبد الكريم الأموى [٩] .

وكذلك ورد ذكره بحجج الأملاك الخاصة بهذه المنطقة باسم ضريح عبد الكريم [١٠]

كما ورد أيضاً باسم ضريح عبد الكريم المجذوب [١١] .

كذلك ورد ذكر هذا الضريح على خريطة الحملة الفرنسية لمدينة القاهرة باسم زاوية عبد الكريم [١٢] كذلك ورد ذكر هذا الضريح باسم ضريح عبد الكريم المجذوب والمرحوم الأمير على الكردى [١٣] .وهكذا نرى أن الآراء قد تضاربت فى اسم المنشىء وإلى من يعود بناء هذا الضريح ؟ وهذا ما سوف نوضحه فى الصفحات التالية .

التاريخ :

حين ذكر هذا الضريح فى المصادر التاريخية فإنه [١٤] لم يذكر له تاريخ

وإنما ذكر بحجج الأملاك المؤرخة بسنة ١٠٢٨ هـ / ١٦١٨ م [١٥] . مما يعنى أنه بنى قبل هذا التاريخ .

ويتضح مما ذكره المقريزى عن حدود دار الوزارة الكبرى [١٦] أن موضع هذا الضريح من حقوق دار الوزارة وأنه بنى على جزء من أرضها ومع ذلك لم يفرده

---

(٨) أثر رقم ٣٢ ، ٧٠٦ – ٧٠٩ هـ / ١٣٠٦ – ١٣٠٩ م .

(٩) على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٩ م . جـ٢ ، ص ٢٠٧ .

(١٠) وثيقة جعفر أغا رقم ٢٤٨٠ أوقاف .

(١١) وثيقة عابدين الترجمان رقم ٣٢٣٣ أوقاف .

(١٢) خريطة الحملة الفرنسية لمدينة القاهرة ، القسم السابع ، مربع G.5 . رقم ٢٩٩ .

(١٣) وثيقة عابدين الترجمان رقم ٣٢٣٣ أوقاف .

(١٤) على مبارك ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٠٧

(١٥) وثيقة جعفر أغا رقم ٢٤٨٠ أوقاف

(١٦) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٤٣٩ .

المقريزى بذكر فى خططه وإنما ذكر زاوية تعرف بزاوية الحمصى قال عنها أنها تقع خارج القاهرة بخط حكر خزائن السلاح والأوسية على شاطىء خليج الذكر من أرض المقس بجوار الدكة أنشأها الأمير ناصر الدين محمد ويدعى طيقوش بن الأمير فخر الدين الطنبغا الحمصى وذلك سنة ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩م فلما خرب ما حولها وإرتدم خليج الذكر تعطلت شعائرها ثم هدمت سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠ م (١٧)

ولكن كان لزياراتى الميدانية المتعددة لهذا الضريح ومحاولة الوصول إلى معرفة المنشىء الحقيقى لهذا الضريح الفضل فى إكتشاف لوحة تأسيسية بأعلى المحراب الذى بالحجرة التى تتقدم القبة مطمورة تحت طبقات متعددة من الطلاء الجيرى فقمت بالكشف عنها وإزالة ما عليها من الطلاء الجيرى وتنظيفها واتضح لى بعد هذا الكشف أنها لوحة من الرخام مستطيلة الشكل أبعادها ٠,٤٤ × ٠,٥٠ م نقش عليها بالحفر البارز نص تأسيسى بخط النسخ يعتبر هذا الخط هو البدايات الأولى لخط الثلث ويتضمن اسم المنشىء وتاريخ الانشاء تفصيلاً فقد ذكر فى النص أن منشىء هذا المسجد هو الأمير فخر الدين الطونبا الحمصى (١٨) كما حدد النص تاريخ البناء باليوم والشهر والسنة إذ ورد به أنه أنشىء فى سلخ شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وستماية (شكل ٢)

وعن حياة الأمير فخر الدين الطونبا تفيدنا المصادر التاريخية بأنه كان من أمراء الملك الصالح نجم الدين أيوب ثم انتقل إلى خدمة الملك المعز عز الدين أيبك فلما صار أمر السلطنة بيد الملك المظفر قطز عمل فى خدمته وصار من كبار الأمراء فلما قتل المظفر قطز ووثب بيبرس إلى كرسى السلطنة جعل الأمير فخر الدين هذا مقدماً على العساكر المصرية مما يدل على الصلة الوثيقة بينه وبين السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى وأنه كان محل ثقة السلطان لذلك أرسله السلطان بيبرس على رأس حملة

---

(١٧) نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٤٣٤ .

(١٨) ذكر المقريزى هذا الأمير فى أكثر من موضع باسم الأمير فخر الدين الطنبغا الحمصى
- المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٤٣٤ ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الكتب ، ١٩٧٠ ، جـ ٢ ، ص ١٢٣ .
كما ذكره ابن ثغرى بردى باسم الأمير فخر الدين الطنبغا الحمصى .
ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة ، ٩٧٤ ، جـ٣ ، ص ١٧ .
وسوف نعتمد على ما ورد بالنص التأسيسى لأنه الأجدر بأن يعول عليه حيث كتب فى حياة الأمير فخر الدين وقبل سفره إلى حلب ولا يحتمل الخطأ الوارد بالمصادر التاريخية . وهذه فائدة أخرى للنصوص التأسيسية حيث يمكن من خلالها تصحيح الخطأ الوارد للمصادر التاريخية

عسكرية كبيرة وجعله قائداً عاماً لها بغرض محاربة التتار واجلائهم عن البلاد الحلبية وذلك سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م [١٩] .

وقد احتفظ الأمير فخر الدين الطونبا بمكانته ومنزلته حتى بعد وفاة الملك الظاهر بيبرس وكان ممن اعتمد عليهم الملك المنصور قلاوون فى تثبيت دعائم مملكته حيث ولاه نيابة السلطنة بمدينة القصر التى بالقرب من أنطاكية سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٩ م [٢٠] .

وبعد أن تقلد الأمير فخر الدين نيابة السلطنة بمدينة الأقصر عاجلته المنية إذ توفى فى العام التالى لولايته ودفن بمدينة القصر وذلك فى السادس عشر من رمضان سنة ثمان وسبعين وستماية [٢١] الموافق ٢٠ يناير ١٢٨٠ م .

ولنا أن نتساءل لماذا لم يذكر المقريزى هذا المسجد فى خططه ؟ ولماذا لم يشر إليه المؤرخون ؟

للإجابة على هذا السؤال نعود إلى دراسة حياة الأمير فخر الدين الطونبا فهذا الأمير لم يمكث فى مصر بعد بناء مسجده هذا إلا عاماً واحداً ثم غادرها بلا رجعة . وأقام بحلب مدة حياة الظاهر بيبرس ثم انتقل من نيابة حلب إلى نيابة القصر بالقرب من أنطاكية فى أيام المنصور قلاوون . (ويبدو ان صفات هذا الأمير المحارب جعلته يقضى بقية حياته خارج البلاد) مما جعل مسجده هذا عرضة للخراب السريع أو أنه لم يوقف على هذا المسجد أوقافاً تضمن له استمرارية الأداء والصيانة . فقد رأينا كيف تخربت زاوية ولده ناصر الدين طيقوش بعد أحد عشر عاماً فقط من بنائها على الرغم مما أوقفه عليها وما جعل بها من الفقراء(الصوفية) [٢٢]

ومع أن مسجد الحمصى هذا يعد أول مسجد مملوكى أقيم بمدينة القاهرة على أنقاض دار الوزارة الكبرى فيبدو أن وظيفته اقتصرت على إقامة الصلوات الخمس وإيواء أبناء السبيل . ويتضح ذلك من الأسماء التى أطلقت على بقايا هذا المسجد حيث أطلق عليه زاوية عبد الكريم البرمونى [٢٣] كما أطلق عليه ضريح شرف الدين الكردى [٢٤]

---

(١٩) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ، جـ ٣ ، ص ١٧ .
(٢٠) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ص ١٢٣ .
(٢١) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ص ١٢٩ .
(٢٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ٤٣٤ .
(٢٣) البرمونى : لقب نسبة إلى مدينة برمون وهي مدينة من أعمال محافظة الدقهلية .
على مبارك : المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ١٠١ .
(٢٤) الكردى : لقب نسبة تشير إلى أن أصله من الأكراد .

الوصف المعماري :

لم يبق من هذه المنشأة إلا القبة ويتقدمها فى الجهة الشمالية الشرقية حجرة مستطيلة وللقبة والحجرة واجهة واحدة تطل على شارع باب النصر وهي الواجهة الشمالية الغربية أما الواجهات الثلاثة الأخرى فهي ملاصقة للجيران ويبدو أن المحلات التجارية التى تقع إلى الجنوب الغربى من القبة هي من حقوق هذه المنشأة إذ أن الواجهة الشمالية الغربية تمتد بطول واجهات هذه المحلات ويتوجها جميعاً شرفات حجرية عبارة عن ورقة ثلاثية الفصوص كما أن واجهات المحلات المذكورة مبنية بالحجر الفص النحيت ولا يوجد فاصل فى البناء بينها وبين القبة فإمتداد الواجهة متصل لا يفصله شيء (لوحة ٢)

الواجهة الشمالية الغربية :

تمتد هذه الواجهة على شارع باب النصر بطول ٨,٥٠ م وفى الركن الشمالى منها يقع المدخل الرئيسى للقبة وهي عبارة عن مدخل مرتد عن سمت الواجهة بمقدار ٠,٣٠م ويقع المدخل داخل حجر اتساعه ١,٧٥ م وعمقه ٠,٣٠ م ينتهي بصدر مقرنص من ثلاثة حطات من المقرنصات الحجرية ويحيط بحجر المدخل جفت حجرى لاعب ذو ميمات ويتوسط هذا الحجر فتحة باب اتساعها ٠,٩٥ م يكتنفها مكسلتان من الحجر ٠,٤٠ × ٠,٣٠ م ويغلق عليها مصراع من الخشب من درفة واحدة ويعلو المكسلتان تجويف غائر فى الحجر موضع النص التذكارى الذى يكتنف المداخل عموماً ويعلو فتحة الباب عتب حجرى مستقيم من قطعة واحدة يحيط به جفت لاعب (لوحة ١) وبالواجهة الشمالية الغربية على يمين المواجه للمدخل دخلتان الأولى اتساعها ١,٣٨ م وبداخلها نافذة مستطيلة اتساعها ٠,٨٨م عليها مصبعات من الخشب ويغلق عليها مصراعان من الخشب أما الثانية فهي أكثر ارتفاعاً من الأولى إذ تمتد حتى أسفل الشرفات المتوجه للواجهة وهذه الدخلة اتساعها ١,٢٠م وبداخلها فتحة شباك اتساعها ٠,٩٠م عليها مصبعات من الحديد ويغلق عليها مصراعان من الخشب ولها عتب مستقيم يعلوه قندلية بسيطة عبارة عن نافذتين مستطيلتين لكل منهما عقد نصف دائرى يعلوهما قمرية مستديرة يعلو ذلك إفريز من الحجر يحمل صف من الشرفات الحجرية بأعلى الواجهة والتى تأخذ شكل ورقة نباتية ثلاثية الفصوص من الحجر تمتد بطول الواجهة وبأعلى واجهة الحانوتين المجاورين للقبة من الجهة الجنوبية الغربية (لوحة ٢).

التوصيف المعمارى :

يفضى الباب السابق إلى حجرة مستطيلة أبعادها ٤,٩٨ × ٢,٥٠ م بصدرها فى الضلع الجنوبى الشرقى حنية محراب اتساعها ١,٠٠ م وعمقها ٠,٣٠ م(شكل١) وعثرت أثناء دراستى الميدانية على لوحة من الرخام الأبيض مطمورة تحت طبقات متراكمة من الطلاء الجيرى فوق هذا المحراب وقمت بالكشف عنها وتبين لى أنها لوحة من

الرخام أبعادها ٠,٤٤ × ٠,٥٠ م وعليها نقش بالحفر البارز على الرخام وبخط النسخ كتابات تتكون من ثمانية سطور تآكل بعضها وهي بصيغة :-

١- بسم الله الرحمن الرحيم . إنما يعمر مساجد
٢- الله من آمن بالله واليوم الأخر وأقام الصلاة وآتا
٣- الزكاة ولم يخش إلا الله [٢٥] أمر بانشاء هذا المسجد
٤- المبارك الأمير الأجلى الكبيرى [٢٦] المخدومى [٢٧] المقدمى [٢٨] فخر
٥- الدين [٢٩] الطونبا الحمصى [٣٠] الملكى [٣١] ضاعف الله
٦- ثوابه وخلد سعادته فى سلخ شهر ربيع الأ
٧- ول سنة ثمان وخمسين وستماية والحمد لله
٨- وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه (شكل ٢) (لوحة ٣،٤)

وفى منتصف الضلع الجنوبى الغربى لهذه الحجرة توجد فتحة باب اتساعها ٠,٨٠ م وارتفاعها ١,٥٠ م يغلق عليها مصراعان من الخشب ولها عتب حجرى مستقيم يعلوه نفيس ثم عقد عاتق . وفى الركن الغربى لهذه الحجرة توجد تركيبة قبر من الخشب

([٢٥]) سورة التوبة : أية ١٨ .

([٢٦]) الأجل : أفعل تفضيل من جليل بمعنى عظيم وهو لقب شائع فى العالم الاسلامى ولم يقتصر هذا اللقب على الوزراء بل تعداهم إلى غيرهم وفى العصر المملوكى أطلق على أمراء الجند لقب " الأمير الأجلى الكيرى " ويشير إلى الاستئثار بالسلطة الحكومية .
القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، القاهرة ، ١٩١٨ ، جـ ٦ ، ص ١١٧ .
حسن الباشا : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٥٧ م ، ص ١٢٦ .

([٢٧]) المخدومى : يشير هذا اللقب إلى أن الملقب فى درجة تؤهله لأن يكون مخدوما لعلو رتبته وسمو محله وهذا اللقب غالب الظهور بخصوص الأمراء

([٢٨]) المقدمى : من الألقاب التى تستعمل كلقب فخرى وكان يطلق على مقدمى الألوف من الأمراء فى عصر المماليك
القلقشندى : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٩ – حسن الباشا : الألقاب : ص ٤٨٧

([٢٩]) فخر الدين : من الألقاب المركبة المضافة إلى الدين وكان يستعمل للقضاة والعلماء فى العصر المملوكى
القلقشندى : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٨٩
حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٤١٩

([٣٠]) الحمصى : لقب نسبة إلى مدينة حمص بالشام

([٣١]) استعمل هذا اللقب فى العصر المملوكى للأمراء ليبين ويشير إلى أن صاحب اللقب من أتباع الملك وأن هذا النص قد كتب حين كان السلطان قائما فى السلطنة
القلقشندى : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٢١
حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٥٠١

٠,٦٥ م × ١,٠٠ م كتب عليها الشيخ محمد شرف الدين الكردى وعليها تفتح النافذة الأولى بجوار باب الدخول من **الجهة الشمالية الغربية** .

يؤدى الباب المذكور بعاليه إلى حجرة مربعة الشكل طول ضلعها ٢,٤٣ م بضلعها الشمالى الغربى النافذة الثانية من نوافذ الواجهة وبضلعها الجنوبى الغربى دخلة اتساعها ٠,٦٧ م عليها مصراعان من الخشب والزجاج تستخدم كخزنة حائطية ولا يوجد بهذه القبة محراب ويتوسطها تركيبة قبر من الخشب تعرف بالشيخ عبد الكريم البرمونى (٣٢) .

منطقة الانتقال :

يعلو المربع السفلى للقبة منطقة انتقال حيث يتم تحويل المربع إلى مثمن عن طريق حنية واحدة على شكل عقد مدبب من الحجر ويتم تحويل المثمن إلى دائرة عن طريق صفين من المقرنصات فى أركان المثمن ويحمل المثمن رقبة القبة الضحلة التى تغطى مقام الشيخ عبد الكريم البرمونى والقبة خالية تماماً من الزخارف وأرضها مفروشة بالبلاطات الحجرية وكذلك أرض الحجرة التى تتقدمها كان الاعتقاد السائد بين الآثاريين أن أقدم الكتابات التأسيسية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة هي المسجلة على مدخل المدرسة الظاهرية بيبرس البندقدارى والمؤرخة بسنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م ولكن بظهور هذه اللوحة التأسيسية لمسجد الحمصى فإنها تعتبر أقدم نص تأسيس مملوكى باقى عرف حتى الآن بمدينة القاهرة ويعود تاريخها إلى سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م وتعتبر هذه اللوحة على درجة كبيرة من الأهمية التاريخية والفنية حيث أنها تفيدنا فى دراسة الخط العربى ومراحل تطوره من خط النسخ إلى خط الثلث الذى شاع استخدامه فى العصر المملوكى . كما تشير إلى وجود مسجد بهذه المنطقة يعد أقدم المساجد بمدينة القاهرة فى العصر المملوكى لم يرد ذكره بالمصادر التاريخية التى أرخت لدولة المماليك .

لذلك نوصى بضرورة تسجيل هذه اللوحة فى عداد الآثار الاسلامية ونقلها إلى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة على وجه السرعة حفاظاً عليها خاصة وأنها تقع داخل ضريح غير مسجل فى عداد الآثار الاسلامية وإن كان الضريح نفسه يعود إلى بدايات القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى وربما كانت واجهته جزءاً من مسجد الحمصى الذى أنشىء سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م .

---

(٣٢) البرمونى : لقب نسبة إلى مدينة برمون وهي مدينة من أعمال الدقهلية على مبارك : المصدر السابق : ج ٩ ، ص ١٠١

ضريح الشيخ سنان
أثر رقم ٤١
٩٩٤ هـ / ١٥٨٥ م .

الموقع :

يقع هذا الضريح بدرب قرمز المتفرع من شارع المعز لدين الله تجاه سبيل عبد الرحمن كتخدا ببين القصرين على يسار المار بهذا الدرب ويقع على خريطة الآثار الإسلامية رقم ١ مربع ٤ ح (خريطة ١)

التاريخ :

يوجد بأعلى فتحة الباب التى بالجهة الجنوبية الغربية لهذا الضريح نص كتابى نقش بالحفر البارز بخط الثلث داخل بحر غائر محاط بجفت لاعب ذو ميمات يتضمن تاريخ انشاء هذا الضريح وهو سنة أربع وتسعين وتسعماية / ١٥٨٥ م .

المنشئ :

ورد بالمصادر التاريخية أن هذا الضريح هو ضريح الشيخ سنان [٣٣] كما أشارت بعض الأبحاث الأثرية إلى أن هذا الضريح من انشاء الوالى سنان باشا الدفتردار [٣٤] وقد سجل هذا الأثر فى عداد الآثار الاسلامية تحت رقم ٤١ باسم ضريح الشيخ سنان [٣٥] وتداولت العامة هذا الاسم وعرف واشتهر به بين جميع الباحثين والدارسين .

ولما كان هذا الموقع قد ظهر على خريطة جراندباى لمساجد القاهرة وعلى خريطة الحملة الفرنسية [٣٦] باسم زاوية الأعجام وذكرت المصادر التاريخية هذا الموضع باسم تكية درب قرمز [٣٧] وذكر أن بجوارها ضريح الشيخ سنان كما ذكرت فى موضع آخر باسم تكية السنانية [٣٨] .

ولما كانت التكايا فى العصر العثمانى هي المرادف للخانقاوات المملوكية وهي فى إجمالها دور عبادة يسكنها الدراويش والصوفية ويعتمدون فى معيشتهم على أوقاف خصصت لذلك كما كان يتردد عليها عابروا السبيل للمبيت والمأكل والمشرب [٣٩]

---

(٣٣) على مبارك : الخطط ، جـ ٢ ، ص ٩٠ .
(٣٤) سمية حسن : قبة الشيخ سنان ، مجلة كلية الآداب ، جامعة المنيا ، الجزء الأول، يناير ١٩٩٨ م ، ص ٣٧٣ .
(٣٥) مصلحة المساحة المصرية ، فهرس الآثار الاسلامية بمدينة القاهرة ، أثر رقم ٤١
(٣٦) خريطة الحملة الفرنسية القسم السابع ، مربع G.6 رقم ٣٠٧
(٣٧) على مبارك : الخطط ، جـ٢ ، ص ٩٠
(٣٨) نفس المصدر ، جـ ٦ ، ص ١٦١ .
(٣٩) محمد جبريل : مصر المكان ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ١٩٨٨ ، ص ٤١٤

فأرجح أن تكون هذه التكية هي بقايا خانقاة قديمة كانت مخصصة لإستقبال الصوفية والفقراء الأعجام خاصة وأن موضع هذه التكية يتصل من الجهة الشمالية الشرقية بالموضع المعروف بمسجد مراكع موسى (٤٠) .

كذلك فإن وجود عطفة السنانين بالقرب من هذه التكية (فلا يفصلها عنها إلا عدة أمتار) لعله أضفى عليها شيئاً من الاسم . فالمعنى اللغوى لكلمة سنان بتشديد النون الأولى هو القائم بعملية السن وهو شحذ حد السكين (٤١) فهو اسم وظيفة كالفران والدّهان. وهذا يعطى انطباعاً بأن الأعجام الذين كانوا يقيمون بهذه التكية كان أغلبهم يمارس هذه المهنة .

وبالرجوع إلى المصادر التاريخية المعاصرة (٤٢) نرى أن الشيخ سنان الذى تنسب إليه هذه التكية وهذا الضريح هو الشيخ سنان الأرزنجانى الحنفى الذى ترجم له ابن اياس فقال هو يوسف بن موسى بن سعد الدين كان من أعيان الحنفية وكان قد قرر فى مشيخة تربة الأمير يشبك الدوادار توفى فى شهر المحرم سنة ٨٩٦هـ / نوفمبر ١٤٩٠. ولكن هذه الترجمة لا تتفق مع النص التأسيسى الموجود بأعلى مدخل الضريح فتعددت زياراتى الميدانية لهذا الضريح محاولاً إعادة قراءة النص التأسيسى . وقد استطعت بفضل الله وتوفيقه أن أعيد قراءة النص قراءة صحيحة مخالفاً لما ذكر عنه فى المصادر والمراجع حيث قرىء (هذا ضريح الشيخ سنان غفر الله له والمسلمين بانى .... العامر بتاريخ سنة أربع وتسعين وتسعماية) (٤٣)

ويتضح من كلمة سنان أنها الكلمة التى اعتادها العامة ورددوها على هذا الضريح ولكن بمطابقة أحرف الكلمات على النص المنقوش على الواجهة تبين لنا خلاف ذلك تماماً فالنص المنقوش لا يحمل كلمة سنان إذ لا تتفق حروف كلمة سنان مع حروف الكلمة المنقوشة بالنص ولا تتطابق معها وقد وفقنى الله إلى القراءة الصحيحة لهذا النص وهي كالآتى ((هذا ضريح الشيخ نسا غفر الله له والمسلمين يا رب العالمين بتاريخ سنة أربع وتسعين وتسعماية))

(شكل ٤) حيث يتضح من هذا الشكل أن حرف النون الأولى فى كلمة سنان غير موجودة بالنص وكذلك النون الأخيرة . وأن الحرف الأول من الكلمة المشار إليها هو نون والحرف الثانى حرف سين ثم يليه حرف الألف ممدوداً هكذا نسا ولا تقرأ هذه

---

(٤٠) هذا المسجد على يمنة من سلك من بين القصرين إلى رحبة العيد تجاه الجامع الأقمر بناه جوهر الصقلى ثم حدد بناؤه سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م وصار يعرف بمعبد سيدنا موسى المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص ٤٠٥

(٤١) المعجم الوجيز : طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ، ١٩٩٧ م ، مادة سن

(٤٢) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠١ م ، جـ٣ ، ص ٢٧٧ .

(٤٣) سمية حسن : المرجع السابق ، ص ٣٧٣ .

الكلمة بغير هذا الشكل . مما دفعنى إلى البحث عن معرفة من هو الشيخ نسا الذى نقش اسمه على هذا الضريح ؟

إن التاريخ المنقوش على واجهة هذا الضريح يحمل تاريخ سنة ٩٩٤ هـ / ١٥٨٥ م . وهو تاريخ وفاة الشيخ نسا الذى قدم من الأناضول ونزل بالتكية المعروفة بتكية الأعجام أو السنانين وعمل فى خدمة هذه التكية [٤٤] .ولما مات دفن داخل الضريح المجاور للتكية ونقش اسمه على المدخل ضمن النص التأسيسى لهذا الضريح وذلك سنة ٩٩٤ هـ / ١٥٨٥ م حيث كان الضريح يتصل بالتكية وله باب يفتح عليها من الداخل [٤٥] .أما سنان باشا الدفتردار الذى تولى حكم مصر سنة ٩٩٤ – ٩٩٥ هـ / ١٥٨٥ – ١٥٨٦ م . فلم أعثر حتى الآن فيما تحت يدى من مصادر تاريخية على أنه لقب بلقب الشيخ وإنما لقب بلقب الباشا والدفتردار وأنه لم يدفن بهذا الضريح .

الوصف المعمارى : (شكل ٣)

لهذا الضريح واجهتان إحداهما الجنوبية الشرقية والأخرى هي الجنوبية الغربية وهي الواجهة الرئيسية حيث يقع بها المدخل إلى الضريح أما الواجهتين الشمالية والشمالية الغربية فهما ملاصقتان للجار .

الواجهة الجنوبية الشرقية :

هذه الواجهة فرعية وليس بها فتحات إلا القمرية المستديرة التى تعلو المحراب ويبلغ طول هذه الواجهة ٢,٧٦ م وقد ارتفعت أرضية الطريق على هذه الواجهة بما يزيد عن منتصف ارتفاعها ويتوج هذه الواجهة صف من الشرفات الحجرية المسننة [٤٦] .

الواجهة الجنوبية الغربية :

تمتد هذه الواجهة على درب قرمز ويبلغ طولها ٥,١٠ م ويتوسطها المدخل الرئيسى للقبة ونتيجة لارتفاع أرض الشارع حول القبة فقد تم عمل خندق أمام واجهة القبة من هذه الجهة حيث يتم النزول إلى القبة عن طريق سلم مكون من ثمانى درجات ويحيط بالخندق سياج حديدى وعلى يسار المواجه للمدخل الرئيسى توجد دخلة تمتد رأسيا بارتفاع الواجهة بها من أسفل فتحة شباك مستطيلة عليها مصبعات من الخشب ويغلق عليها مصراعان من الخشب ولها عتب علوى مستقيم من سنجات حجرية مزررة ويتوج الواجهة صف من الشرفات الحجرية المسننة (لوحة ٥) .

وبجوار هذه الدخلة إلى جهة الغرب توجد فتحة باب مستطيلة يغلق عليها مصراع من الخشب لها عتب علوى من الخشب يعلوه نافذة عليها مصبعات من الخشب بغرض

---

(٤٤) فتحى حافظ الحديدى : دراسات فى مدينة القاهرة منطقة قسمى الجمالية ومنشأة ناصر بين الماضى والحاضر ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ١١٥ .

(٤٥) ملف الأثر رقم ٤١ أرشيف المجلس الأعلى للآثار

(٤٦) فى سنة ١٩٢٧ م تم تنكيس الواجهة القبلية لضريح سنان باشا وإصلاحها ملف الأثر رقم ٤١ .

الإضاءة والتهوية (لوحة ٦) ويؤدى الباب إلى حجرة مستطيلة طولها ٤,٦٤ م وعرضها ١,١. م خلفها أرض خربة [٤٧] .

المدخل الرئيسي :

مدخل هذه القبة من النوع الغائر فهو عبارة عن دخلة اتساعها ١,٤٧ م تنتهي بعقد ثلاثي الفصوص ويتوسطها من أسفل فتحة باب اتساعها ٠,٨٧ م وارتفاعها ٢,٧٠ م ويغلق عليها مصراعان من الخشب المكبر بالصفائح المعدنية وعلى جانبى فتحة الباب يوجد جلستان من الحجر يعلوهما شريط كتابى بالحفر البارز على الحجر بخط الثلث يكتنف عضادتى الباب صيغته على العضادة اليمنى " بسم الله الرحمن الرحيم ألا إن أولياء " وعلى العضادة اليسرى " الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون [٤٨] صدق الله العظيم .

ويعلو فتحة الباب عتب حجرى مستقيم من سنجات مزررة محاط بجفت لاعب ذو ميمات يعلوه بحر غائر فى الحجر عن سمت الواجهة عليه نص كتابى بالحفر البارز على الحجر بخط الثلث المملوكى يحيط به جفت لاعب ذو ميمات وصيغة النص " هذا ضريح الشيخ نسا غفر الله له والمسلمين يا رب العالمين بتاريخ سنة أربع وتسعين وتسعماية " [٤٩] (لوحة ٧) (شكل ٤)

يفضى المدخل السابق إلى داخل القبة المباشرة والتى تأخذ شكل شبه منحرف أطواله متفاوتة ونظراً لصغر ضلعه الجنوبى الشرقى عن الضلع الشمالى الغربى وانكسار الضلع الجنوبى الغربى إلى الداخل ليتلائم مع خط التنظيم [٥٠] فقد أوجد المعمار أربعة أعمدة حجرية مثمنة الأضلاع لها قواعد وتيجان بصلية الشكل تحمل عقوداً مدببة ليصل بها على شكل مستطيل ينقسم بواسطة عقد وسطى يقسم المسافة الكلية إلى

---

[٤٧]) كان هذا الضريح متصلاً بمبانى أخرى هي المعروفة بزاوية الأعجام أو تكية سنان وكان الضريح متصلاً بها عن طريق باب يفتح على الضريح وفى سنة ١٩٥٤ وردت إلى لجنة حفظ الآثار مكاتبة من مدير مدرسة التحرير الابتدائية بأنه يوجد باب بين المدرسة والضريح يؤدى إلى داخل ضريح العارف بالله سيدى سنان باشا ويلزم تسليم مفتاح الضريح للمدرسة حيث يستخدم كمخزن وفى سنة ١٩٥٦ قامت اللجنة بفصل الضريح عن العقار ٦ أ بدرب قرمز ، ملف الأثر رقم ٤١ .

[٤٨]) سورة يونس ، آية ٦٢ .

[٤٩]) هذا النص قرأته سمية حسن كالآتى " هذا ضريح الشيخ سنان غفر الله له وللمسلمين بانى ..... العامر بتاريخ أربع وتسعين وتسعمايه "

سمية حسن : المرجع السابق ، ص ٩٠ .

[٥٠]) فى سنة ١٩٠٢ م صدر أمر عالى باعتماد خط تنظيم حارة درب قرمز التى بها تكية سنان باشا وذلك فى ٢٩/ ١٢ / ١٩٠٢ م

ملف الأثر رقم ٤١ .

جزأين غير متساويين أمكن للمعمار أن يقيم على كل منهما قبة إحداها كبيرة والأخرى صغيرة .

ويتصدر الضلع الجنوبى الشرقى حنية محراب من الحجر خالى تماماً من الزخارف تأخذ طارته شكل عقد مدبب ويتقدمه عامودان من الرخام الأبيض مثمنى الشكل لكل منهما قاعدة وتاج بصلية الشكل وبأعلاه نافذة صغيرة مربعة لها إطار من الخشب ويغشيها زخارف كتابية من الجص على شكل جامة يتوسطها دائرة بها سطرين من الكتابات بخط الثلث نصها فى السطر العلوى : لا إله إلا الله " والسطر السفلى نصه " محمد رسول الله " (لوحة ٨) وهذه النافذة هي التى تأخذ شكل قمرية من الخارج . وعلى جانبى المحراب يوجد دخلتان عبارة عن دواليب حائطية يغلق على كل منها مصراعين من الخشب على مستويين .

القبة الصغرى:

تعلو المساحة الصغرى التى تتقدم المحراب وهي مقامة على أرجل مروحية وهذه الأرجل تلتقى فى شكل مكون من اثنى عشر ضلعاً أقيمت عليه رقبة مستديرة فتح بها ستة نوافذ ذات عقد منكسر كل منها مغشى بحجاب من الجص المعشق بالزجاج الملون على شكل زخارف هندسية (لوحة ٩) . أما القبة من الداخل فقد شغلتها الزخارف الهندسية إذ يتوسطها شكل طبق نجمى مكون ترسه من اثنى عشر رأساً منفذ بالحفر البارز على الحجر . (لوحة ٩) .

القبة الكبرى :

تعلو هذه القبة المساحة الكبرى التى تتقدم المساحة الصغرى وقد أقيمت هذه القبة على الأعمدة الحجرية الحاملة للعقود المدببة وتتكون منطقة الانتقال بها من خمس حطات من المقرنصات محصورة بين العقود الحاملة للقبة لذلك أخذت فى شكلها العام شكل مثلث مقلوب رأسه لأسفل وقاعدته لأعلى (لوحة ١٠) وتحمل منطقة الانتقال رقبة القبة التى فتح بها ثمانية نوافذ تشبه فى شكلها وزخارفها نوافذ القبة الصغرى. وبدن القبة من الداخل خالى تماماً من الزخارف ومكسى بطبقة من الملاط . (لوحة ١٠)

القبة من الخارج :

لا ترتفع القبة الصغرى كثيراً عن السطح فليس لها منطقة انتقال ظاهرة من الخارج عكس القبة الكبرى التي اتخذت منطقة الانتقال بها شكل مثلثات منزلقة يلى ذلك نوافذ الرقبة ذات العقد النصف دائري من الخارج ثم تبرز الخوذة قليلاً عن الرقبة لتأخذ شكل عقد مدبب يعلوها هلال مثبت على قائم ذى انتفاخات من النحاس.

مقام القرطبى

الموقع :

يقع هذا المقام بعطفة الأقطبى المتفرعة من شارع أم الغلام ويقع على خريطة الآثار الإسلامية رقم ١ بالمربع ٤ ح وتفيدنا حجج الأملاك الخاصة بهذه المنطقة بأن هذه

العطفة كان يطلق عليها قديما اسم عطفة المدغشى ثم عرفت بعطفة الأقطبى[٥١] ثم عرفت بعد ذلك بعطفة ابن هيزع حيث يوجد على رأسها سبيل وكتاب على بن هيزع [٥٢].

التاريخ :

يوجد على مدخل هذا المقام لوحة من الرخام أبعادها ٠,٢٩ × ٠,٣٢ م عليها كتابات بخط النسخ فى ثمانية سطور ولكن التاريخ بها غير مكتمل ويرجح أنها تعود إلى النصف الأول من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى .

المنشئ

ذكرت المصادر التاريخية هذه العطفة باسم عطفة القرطبى وسميت بذلك لأن بها ضريح قديم يقال له ضريح القرطبى ملحق بزاوية صغيرة[٥٣] وورد على الخرائط المساحية بمدينة القاهرة أنه مقام ابن هيزع [٥٤] وحسين كتخدا الأزميرلى [٥٥] ويوجد على مدخل المقام لوحة رخامية عليها اسم صاحب هذا المقام وتاريخ وفاته وهو كما نعت نفسه العبد الفقير إلى الله على ابن عبد الرحمن ابن عبد المنعم مات فى مستهل شهر رجب سنة أربعين وستما.... (ية)

الوصف المعماري :

هذا الضريح يدخل ضمن مجموعة بنائية ملحقة به ذكرت المصادر التاريخية أنها زاوية وقد اندثرت هذه الزاوية وموضعها الآن المنزل الذى فى اتجاه الداخل من عطفة الأقطبى ولهذا المقام وبها واحدة من الواجهة الجنوبية الغربية (لوحة ١١)

ويتوسط هذه الواجهة كتلة المدخل وهي عبارة عن دخلة غائرة اتساعها ١,٦٠ م تنتهي بعقد ثلاثى محاط بجفت لاعب ذو ميمات ويشكل الجفت حول حاشية العقد ميمه كبيرة أعلى قمة العقد الثلاثى ويتوسط هذه الدخلة فتحة باب اتساعها١,٠ م عليها مصراع من الخشب يعلوها عتب مستقيم من قطعة واحدة من الحجر يعلوه لوحة من الرخام نقش عليها بالحفر البارز بخط النسخ ثمانية سطور تقرأ كالآتى :

١- بسم الله الرحمن الرحيم

٢- تبارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من

---

(٥١) سجل ١٢٧ محكمة الباب العالى ، حجة رقم ١١٢٦ بدار الوثائق بالقاهرة .

(٥٢) هو السيد الشريف على بن السيد الشريف هيزع بن الشريف على مرشد الحجازى الصفراوى الحمار – سجل ٢٨ محكمة الباب العالى بدار الوثائق ، ص ٤٨٢ .

(٥٣) على مبارك المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣٥

(٥٤) لم يرد وصف لهذا المقام بوثيقة السيد على ابن هيزع – سجل ١٢٧ محكمة الباب العالى حجة رقم ١١٢٦ بدار الوثائق

(٥٥) لم يرد وصف لهذا المقام بوثيقة حسين كتخدا الشهير بالأزميرلى – وثيقة حسين كتخدا الأزميرلى رقم ٢٦٩٣ أوقاف

٣- ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار
٤- ويجعل لك قصورا ([٥٦]) أمر بإنشاء
٥- الفقير الى الله على بن
٦- عبد الرحمن ابن عبد المنعم
٧- مات فى مستهل سنة أربعين
٨- .. وستماية) (لوحة ١٢) (شكل ٥)

وهذا النص التأسيسى على درجة كبيرة من الأهمية فقد تضمن أمر إنشاء هذا المبنى كما تضمن اسم المنشئ وتاريخ وفاته وقد ذكر بالنص أن الآمر بالانشاء هو الفقير الى الله على بن عبد الرحمن بن عبد المنعم الذى لم أعثر فيما بين يدى من مصادر حتى الآن على ترجمة لحياة هذا المنشئ كما تضمن النص تاريخ وفاته وهو مستهل سنة أربعين وستماية أى أن هذا البناء يعود فى أصله الى العصر الأيوبى وإن كانت قد أجريت عليه تجديدات فى العصور التالية حيث قام بتجديده السيد الشريف على ابن هيزع ودفن به كما جدده الأمير حسين كتخدا الشهير بالأزميرلى ودفن به أيضاً وهذا هو السبب فى شهرته بين العامة باسم مدفن على ابن هيزع وحسين كتخدا الأزميرلى .
وهذه اللوحة محاطة بجفت حجرى مكوناً شكل ميمة بأعلى وأسفل اللوحة . وعلى يمين المواجه للمدخل توجد نافذة معقودة بعقد موتور من سنجات مزررة عليها سياج من الحديد ويتوج الواجهه بقايا شرفات من الحجر خماسية الفصوص .
يفضى هذا الباب الى حجرة مستطيلة أبعادها ٤ × ٥ م لها سقف خشبى من جزوع النخيل يتوسطه منور مكشوف سماوى وبها تركيبة قبر من الخشب فى الركن الشمالى من هذا المقام وليس عليها أية كتابات .

([٥٦]) سورة الفرقان آية ١٠ .

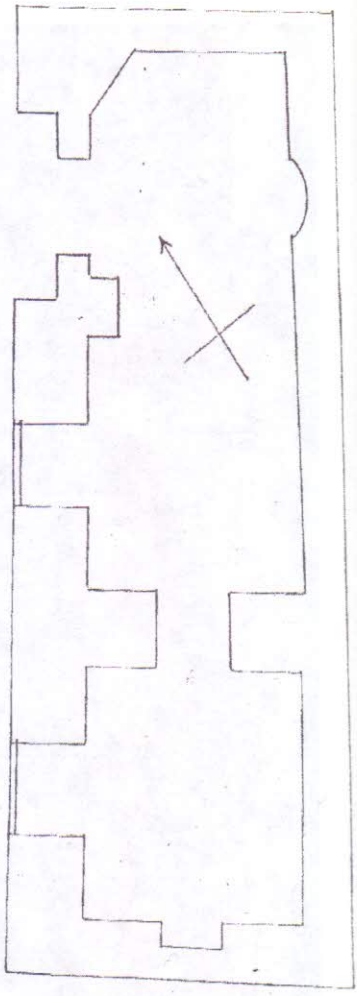

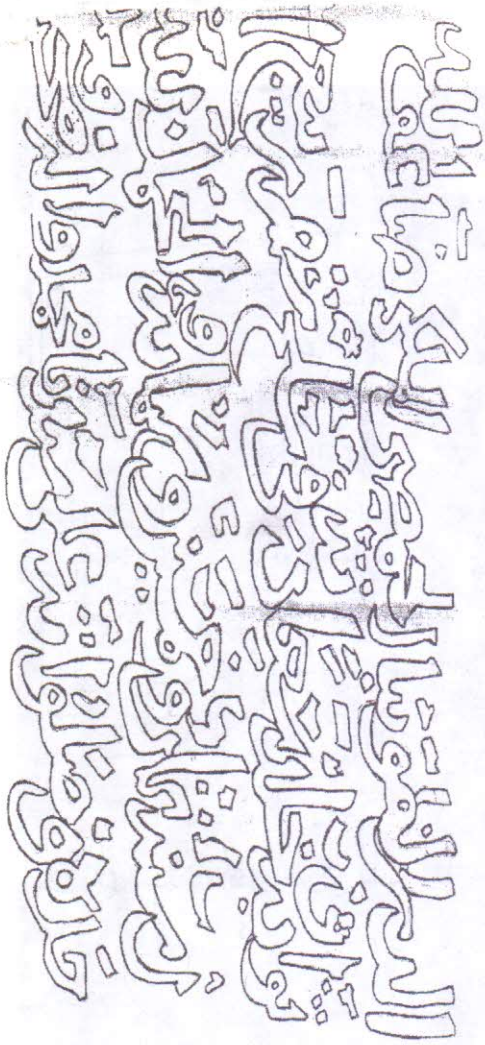

شكل (١) المسقط الأفقي لضريح عبد الكريم الرامونى قبل ١٠٢٨/١٦١٨م.

شكل (٢) يوضح الكتابات التي باللوحة التأسيسية لمسجد الحمصي

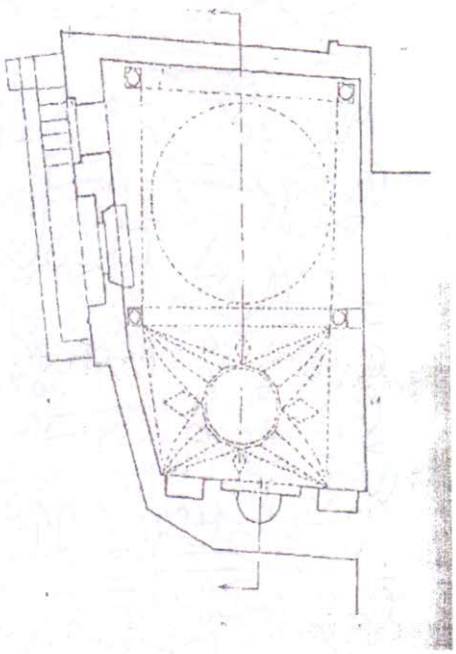

شكل (٣) المسقط الأفقي لضريح الشيخ نسا

شكل (٤) النص الكتابي أعلى مدخل الضريح

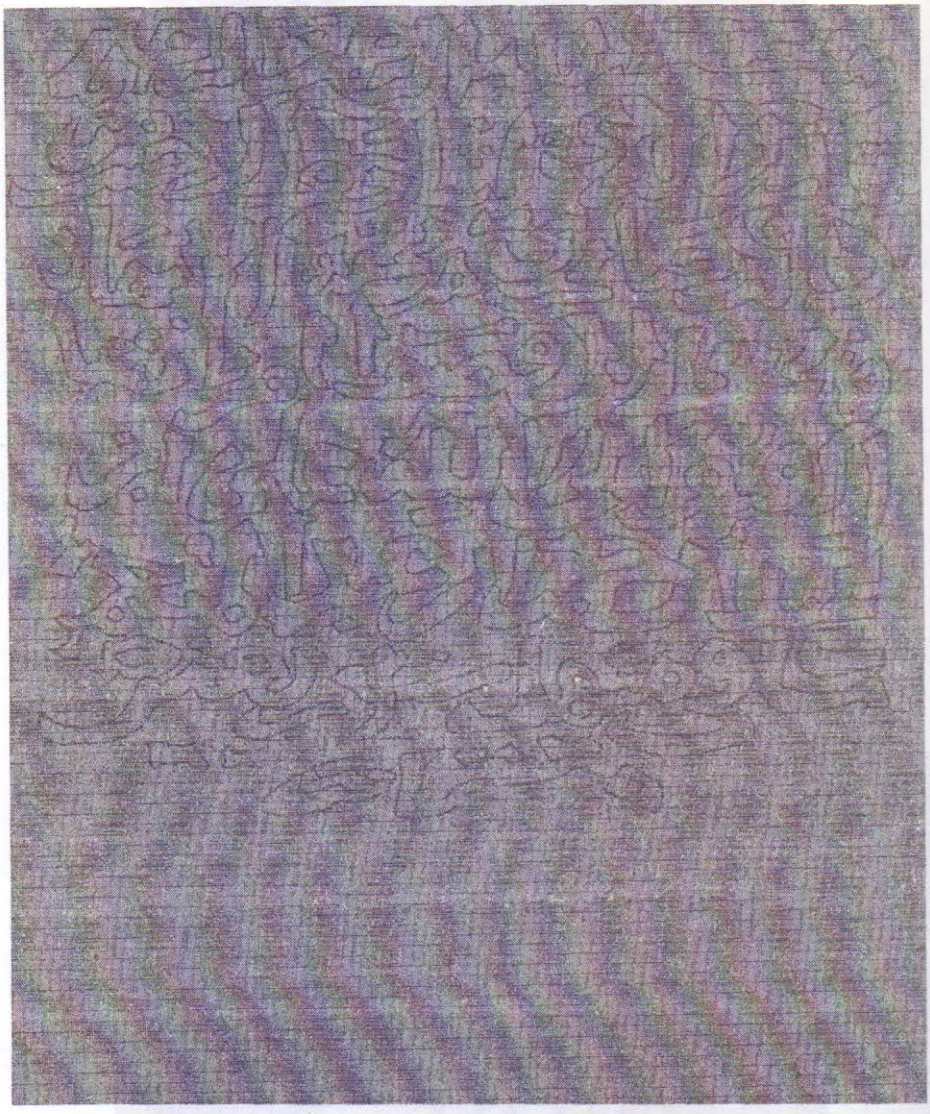

شكل (٥): يوضح الكتابات التأسيسية على مقام القرطبي.

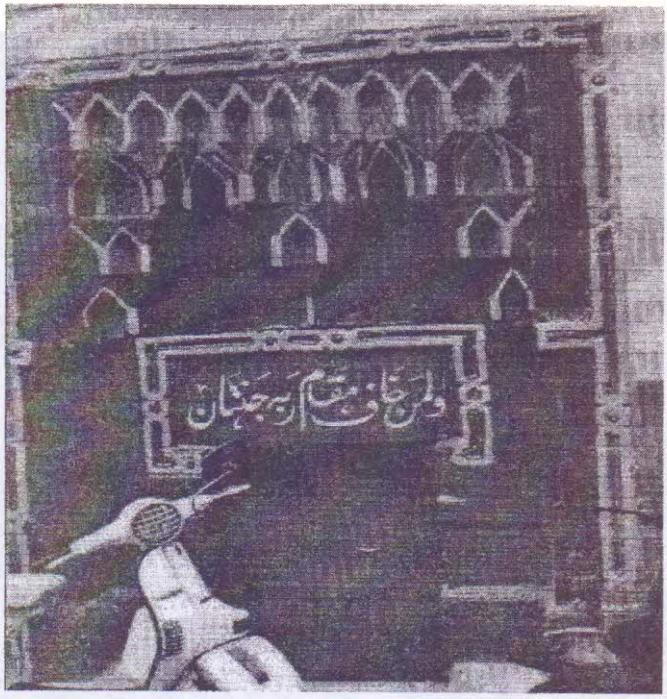

لوحة (١) مدخل ضريح البراموني

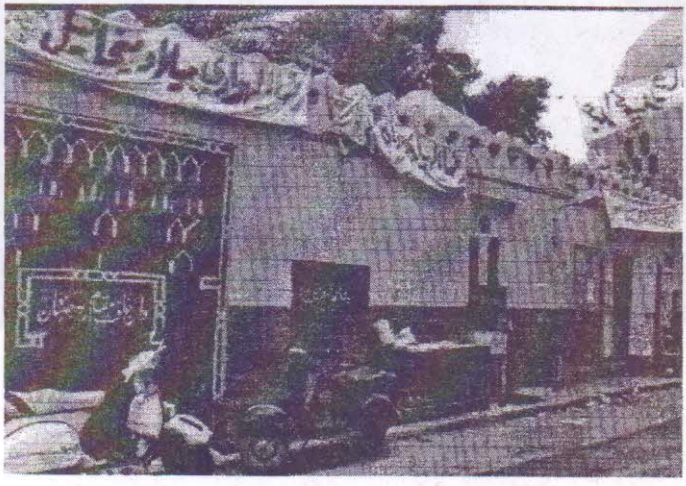

لوحة (٢): الواجهة الشمالية الغربية لضريح عبد الكريم البرموني

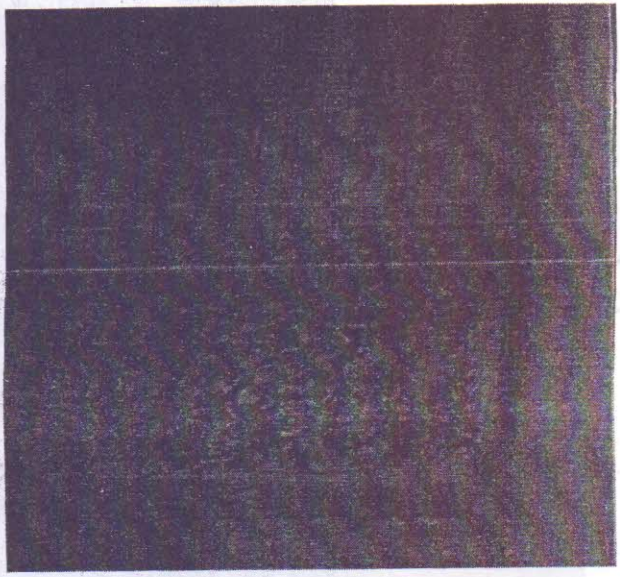

لوحة (٣) النص التأسيسى لمسجد الحمصى.

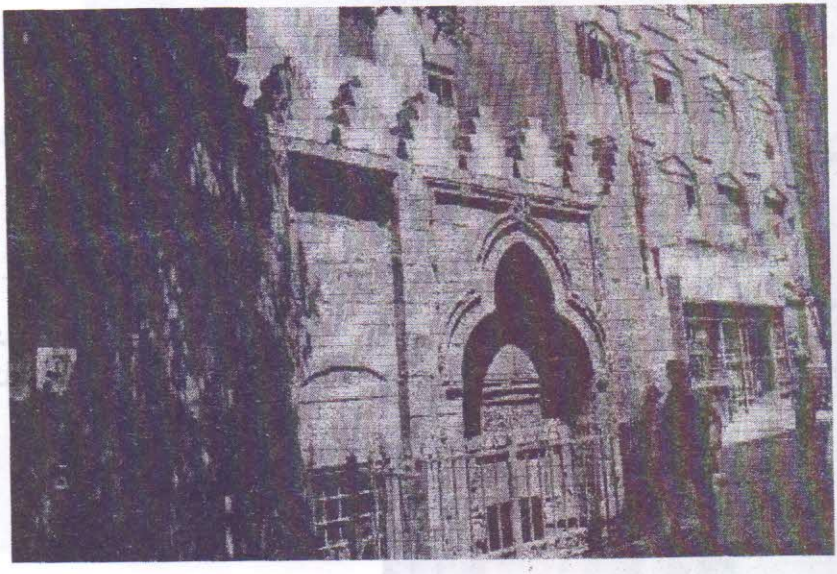

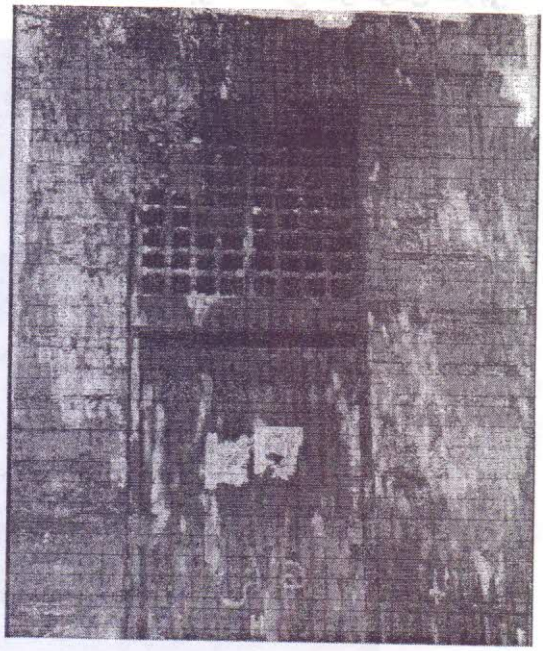

لوحة (٥): المدخل المجاور للضريح
(بقايا مدرسة التحرير الابتدائية)

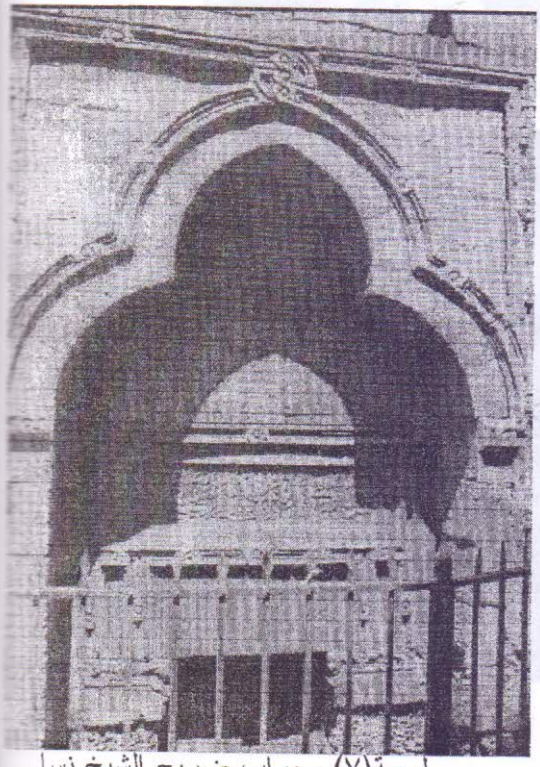

لوحة (٦): المدخل الرئيسي للضريح
يعلوه النص التأسيسي

لوحة(٧) محراب ضريح الشيخ نسا

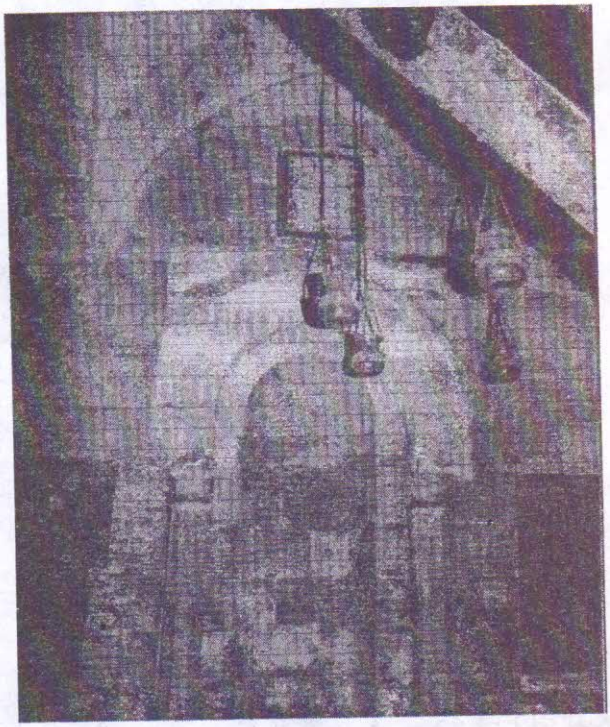

لوحة(٨) القبة الصغرى بالضريح

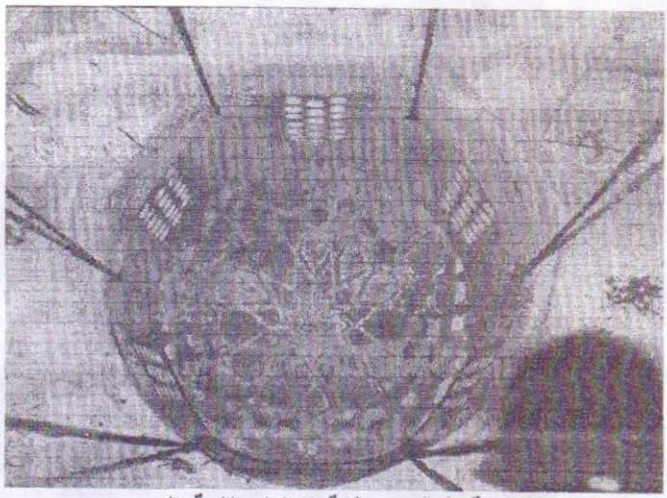

لوحة (٩): منطقة انتقال القبة الكبرى

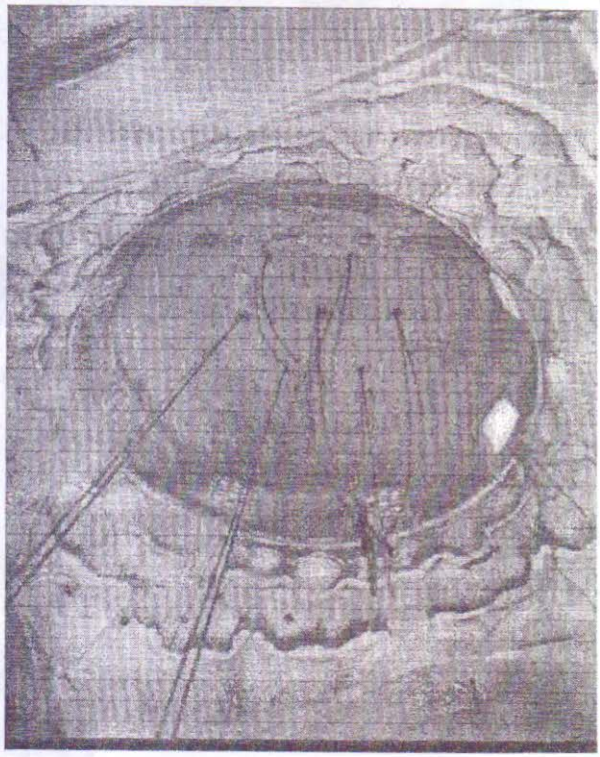

لوحة (١٠): القبة الكبرى من الداخل بضريح الشيخ نسا.

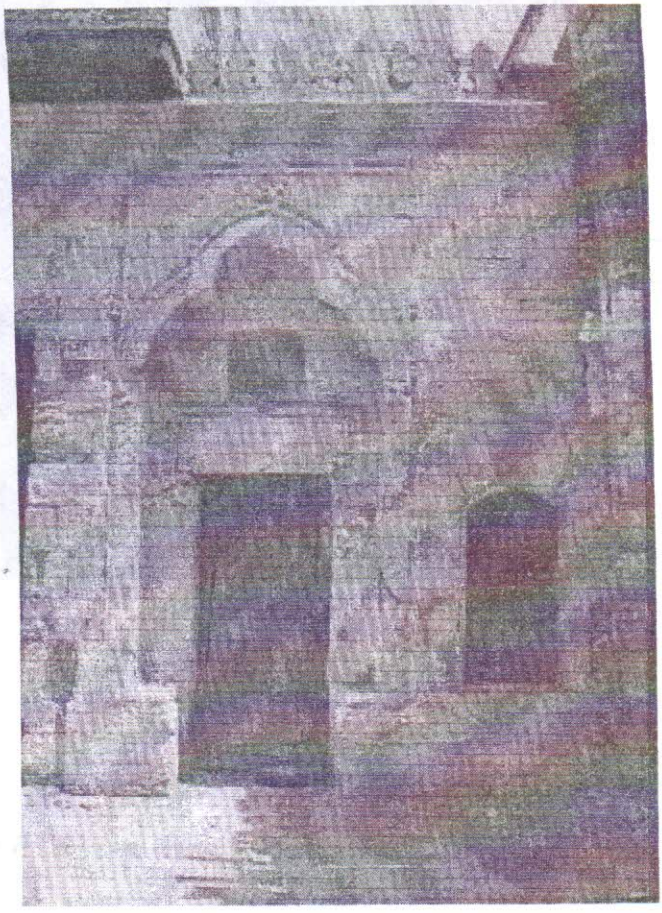

لوحة (١٢): الواجهة الجنوبية الغربية
لمقام الاقطبي.

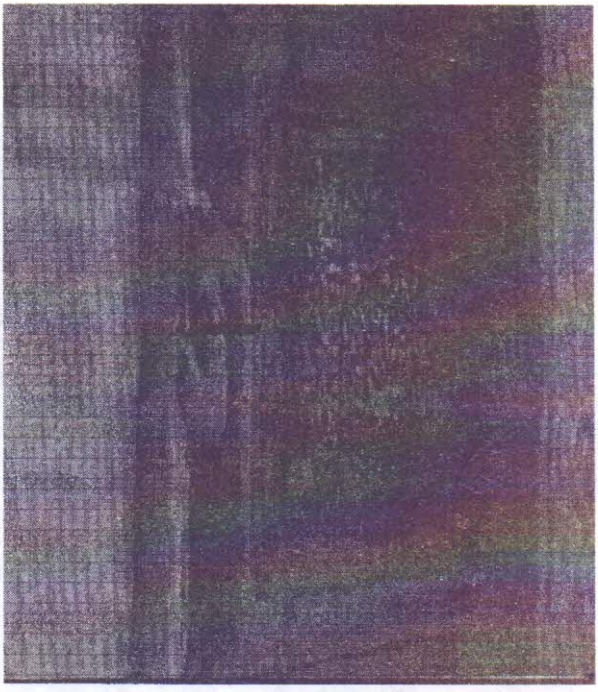

لوحة (١٣): النص التأسيسي لمقام الاقطبي